

الفناء في منازل الفترة الرومانية بنوميديا

أ.طواھري حكيمة

أستاذة مساعدة أ

معهد الآثار – جامعة الجزائر 2

Résumé :

Cette présente recherche traite de la cour à l'intérieur des maisons de la Numidie à l'époque romaine. La cour est un espace vital, à ciel ouvert, qui permet d'aérer et éclairer l'ensemble des pièces qui l'entourent, et permet également la circulation à l'intérieure de la maison. La cour est souvent à péristyle, elle peut contenir un puits, des bassins ou un petit jardin.

أعطتنا المنازل ذات الفناء بنوميديا أمثلة عديدة متطورة، إما في المخططات، في المساحات، في تقنيات و مواد البناء أو في توزيع العناصر المعمارية. فهي متكونة تقريبا من نفس العناصر، لكنها موزعة بطريقة مختلفة في كل منزل. ففي معظمها، المدخل الرئيسي يؤدي إلى الدهليز ثم إلى الفناء. هذا الأخير يوزع الحركة إلى بقية العناصر داخل المنزل و يساعد على إنارته و تهويته. إضافة إلى أنه يؤمن الراحة للسكان خاصة إذا كان مليئا بالاخضرار، بالورود و خريز المياه من خلال النفورات أو الأحواض. يستقبل صاحب المنزل زواره في أحدها، إذا ما احتوى منزله على فناءين أو أكثر، و يخصص الأخرى لعائلته . لكن هل كل المنازل تحتوي على فناء؟ و هل الفناء نفسه في كلّ المنازل؟ أو نجد أنماط متعدّدة للأفنية في منازل نوميديا؟ و ما هي وظيفتها؟

المنزل ذو الفناء:

هذا النوع قائم على فناء ذو أعمدة في أغلب الأحيان، إما مبلّط أو ذو فسيفساء، يحتوي على أحواض مياه أو بستان صغير في الجزء المركزي. تحيط به أروقة مشكلة بالأعمدة و تكون إما ذات رواقين، ثلاثة أروقة أو أربعة في الغالب. تحيط بالفناء قاعات من بينها قاعة استقبال تعرف بمساحتها، موقعها في المنزل و أرضيتها الفسيفسائية. إضافة إلى قاعات أخرى لا تعرف وظيفتها دوما، تستمدّ الهواء النقي و الإنارة من الفناء. في بعض الأحيان يحتوي على حمامات خاصة في احد زواياه. نفس العناصر نجدها تقريبا في معظم المنازل و تختلف فقط في توزيعها، وضعيتها و حجمها ، هذا النوع من المنازل هو الأكثر انتشارا في شمال إفريقيا عامة و نوميديا خاصة.

هذا لا يعني أنّ كل المنازل تحتوي على فناء، فهناك منازل صغيرة من حيث الحجم و المساحة، قليلة أو عديمة لمرافق الرّاحة و الرّفاهية و الحمامات و المراحيض، ولا تحتوي على فناء، نجد أمثلة عديدة خاصة في المدينة القديمة بتمقاد.

أنواع الأفنية: هناك أنواع من الأفنية متواجدة بمنازل نوميديا. فهي متشابهة نوعا ما من حيث عناصرها مثل الأروقة، الأعمدة، الأحواض و الآبار. إذا قسمنا من حيث الأروقة نجد:

- فناء دون أروقة .

- فناء ذو رواقين : مثل فناء منزل باخوس بجميلة (صورة1) .

- فناء ذو ثلاث أروقة: مثل فناء منزل غرب حمامات فيلادلف بتمقاد (صورة 2) .

- فناء ذو أربعة أروقة : ، مثل فناء المنزل ذو الحدائق بمدينة تيمقاد¹ (مخطّط 1).

- فناء ذو رواق منحنى : فناء منزل أنتستيني بعنونة، به رواق مستقيم و آخر منحنى (مخطّط 2).



(صورة2): فناء منزل غرب حمامات فيلادلف

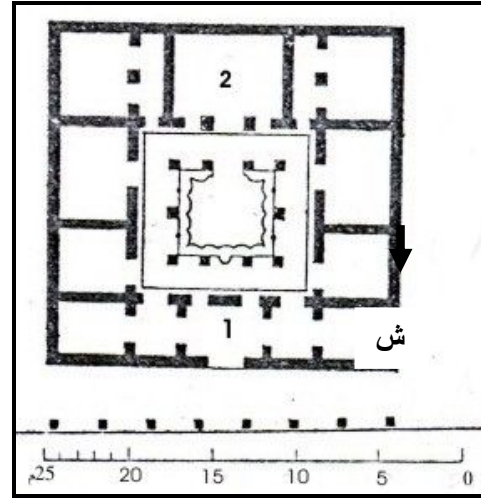


(صورة1): الفناء بمنزل باخوس

¹ هذا الفناء ذو أعمدة مشكلة أربعة أروقة، به درابزين (Balustrades) من الحجر ذات شكل منحنى يحدّد حدائق صغيرة موضوعة بتناظر حول بئر . تحيط بهذا الفناء إحدى عشر غرفة.

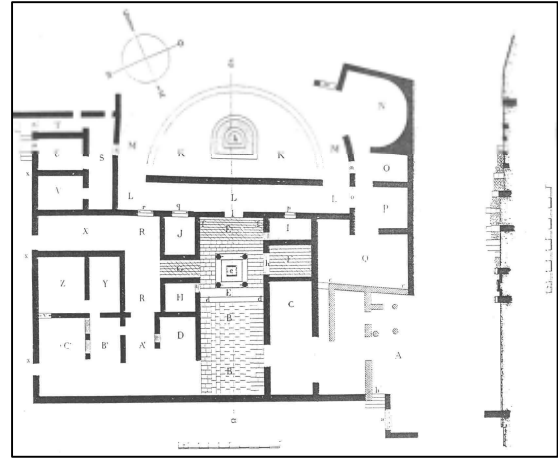
(مخطط 1) : منزل ذو الحوائق بتمقاد

Gsell (S.), Monuments Antiques de l'Algérie, T. I, p123

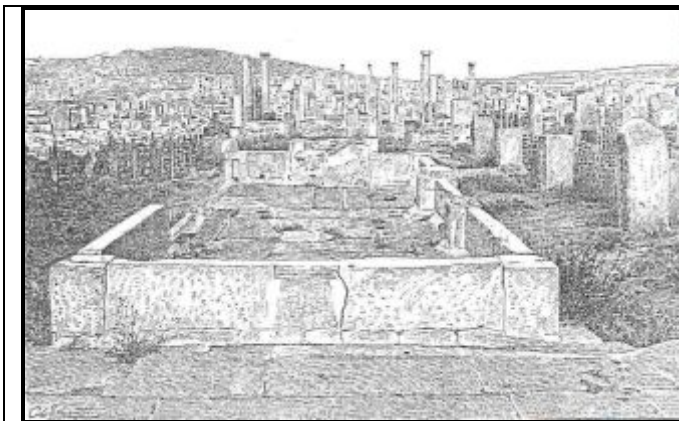


(مخطط 2) : منزل أنتستي بعنونة

Gsell (S.), Khamissa, M'daourouch, Announa, III: Announa, 1918.



أما إذا قسمناها من حيث الأحواض نجد:



(صورة 4) : حوض الفناء بمنزل سرتيوس عن قزال (Gsell)



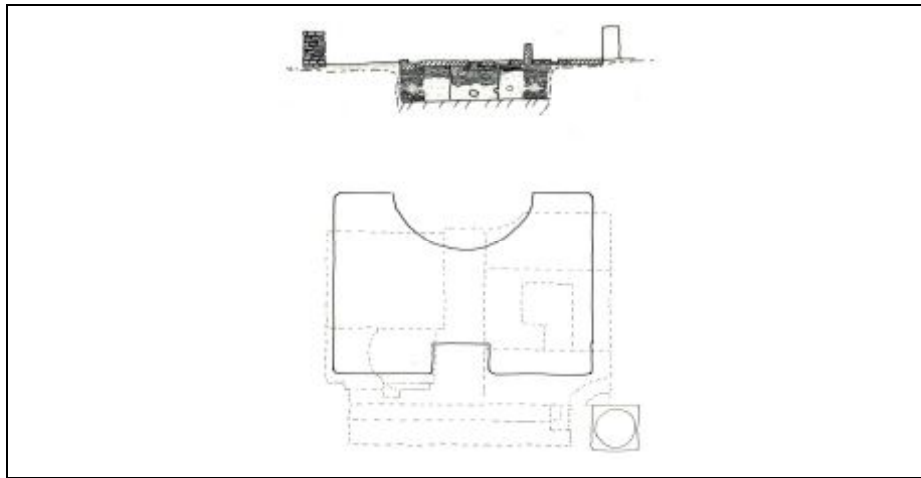
(صورة 3) : حوض الفناء بمنزل سرتيوس

	
(صورة 6) : حوض نافورة بالفناء لمنزل سرتيوس المتواجد بمتحف تمقاد	(صورة 5) : ثقوب بدار الحوض تحت الأرض بالفناء بمنزل سرتيوس

فناء ذو حوض واحد : مثل فناء منزل باخوس جميلة (صورة 1) .

- **فناء ذو حوض تحت الأرض :** منزل سرتيوس² بتمقاد (صورة 3، 4، 5، 6) و (مخطط 3).

- **فناء ذو حوضين أو أكثر :** مثل فناء منزل كاستوريوس جميلة (صورة 7، 8) .



(مخطط 3): مقطع بفناء منزل سرتيوس و مخطط الحوض تحت الأرض بنفس الفناء

² كان هذا الحوض مزين بحوض نافورة نصف دائري منحوت في الرخام الأبيض موضوع في الضلع الشرقي له و هو متواجد حاليا بمتحف تمقاد و هو مزخرف بنحت بارز عليه أشخاص و زوارق .

تحت تبليط هذا الحوض يتواجد حوض آخر عمقه حوالي 0.85 م ، طوله حوالي 2.20 م شمال جنوب ، أما عرضه حوالي 1.70 م، يحتوي على ثقب دائرية قطرها حوالي 0.10 م ، عبارة عن أواني فخارية مغروسة في الجدران. كما يحتوي في جداره الشرقي على شكل منحنى نحو الحوض، قد يكون خزان. احتفظ هذا الحوض على جزء كبير من تلييسه من الملاط الوردي اللون المستعمل للماء. قد يكون هذا الحوض لتربية الأسماك ، بحيث يلتجئ السمك إلى الثقب الفخارية للاختباء حين يفرغ محتوى الحوض العلوي ، ثم يصعد عند ملئه.



(صورة 8): أحواض فناء منزل كاستوريوس

(صورة 7): ثقب فخارية بالحوض المستطيل
بفناء منزل كاستوريوس³

أما إذا قسمناها من حيث الأرضية فنجد:

- فناء مبلط : مثل فناء منزل سرتيوس بتمقاد (صورة 3 و 4).
- فناء ذو بستان : هو بستان صغير متواجد في الجزء الداخلي للفناء بمنزل كاستوريوس جميلة (صورة 8).

أما إذا قسمناها من حيث الآبار فهناك أفنية دون آبار و أفنية ذات آبار مثل فناء منزل غرب حمامات فيلادلف بتمقاد (صورة 2) .

وظيفة الفناء :

في حديثه عن المنزل ذو الفناء ، روييفا (R.Rebuffat)⁴ يرى أن الفناء الم معد مخصص للاستقبال الزوار ، و انه مركز القسم العام للمنزل. كذلك لوفو⁵ (Ph. Leveau) ، يقول انه في حالة ما إذا وجد فنائين أو أكثر ، فالأول يعتبر في الأغلب للاستقبال و الآخر أو الأخرى للحياة المنزلية و الخاصة ، و يقول أن تعدد الأفنية يدل على التفرقة بين القسم الخاص و قسم الاستقبال. قد يكون قوله هذا صحيح في حالة ما إذا كان صاحب المنزل يستقبل غرباء في منزله من اجل الأعمال و التجارة....الخ. لكن يمكن

³ يحتوي هذا الحوض على أواني فخارية مغروسة بين جدرانه، في الشمالي و الجنوبي، أما من الغربي فهي عبارة عن قرميدين منحنيين موضوعين بالتقابل ليشكلا ثقباً في الجدار. أرضية هذا الحوض احتفظت بملاطها، يحتوي بداخله على دكة في الوسط مزودة قليلاً نحو الجنوب. و هي منحوتة في كتلة حجرية لكنها مكسرة، لها ستة واجهات، احدها مزخرفة على الجوانب بلألئ و اسطوانات تحيط بمساحة داخلية ذات آثار الأرميل كأنها كتابة ممحاة. على جانبي هذه الواجهة، نجد واجهتان عليهما زخرفة نباتية. هذه الأحواض الأربعة مبنية بالأجر المستطيلة.

⁴ Rebuffat (R.), *Thamusida II*, Rome- Paris , 1970 , p.p. 286-287, N° 1

⁵ Leveau (Ph.), « Les maisons nobles de Caesarea de Maurétanie » in *Ant. Afr.* , T. 18, 1982, p.p. 109-165, p. 157

أن يكون تعدد الأفنية لإنارة كل المنزل و تهويته خاصة إذا كان ذو مساحة كبيرة، ففناء واحد لا يمكن له أن يجعل الضوء و الهواء يشمل كل المنزل الواسع، خاصة القاعات البعيدة عن الفناء الواحد.

إضافة إلى هاتانوظيفتان التي يحدثنا عنها الباحثين، ذكرنا سابقا أن الفناء ذو أهمية حيوية في المنزل و انه يساعد على العيش الجيد و المريح و من وظائفه نجد:

– الإنارة والتهوية :

بحكم موقعه في مركز مجموعة من القاعات ينير عدد كبير منها. خاصة التي تكون في الطابق السفلي و لا تحتوي على نوافذ نحو الخارج للإنارة و التهوية. فالفناء إذن يقوم بتهوية هذه القاعات و كل المنزل.

– توزيع الحركة:

من بين الوظائف كذلك الهامة، نجد أن الفناء يساعد على التنقل في المنزل، بحيث يوزع الحركة إلى القاعات الأخرى. فبعد الدخول إلى الدهليز نصل إلى أروقة الفناء المغطاة و هي ذات أرضية إما مبلطة بالحجارة، بالرخام أو بالفسيفساء. تساعد على التنقل من قاعة إلى أخرى . بينما الجزء الداخلي للفناء يكون مغلق بجدران صغيرة بين الأعمدة و يحتوي على مدخل في حالة ما إذا أراد السكان الدخول إليه.

– الراحة:

يمكن للفناء أن يكون مساحة للراحة خاصة إذا كان يحتوي على عناصر تساعد على ذلك. مثل النفورات اللاتي تسمع خرير المياه. كما نجد بفناء منزل سرتيوس المذكور سابقا. وفناء منزل غرب حمامات فيلادلف و فناء منزل أنتستيني. إضافة إلى الأحواض المليئة بالمياه التي تلمع تحت أشعة الشمس ، أو في حين تستعمل لتربية الأسماك مثل حوض فناء منزل سرتيوس، و فناء منزل كاستوريوس⁶. أو عند احتوائه على مساحة خضراء بين هذه الأحواض بها نباتات صاعدة و ملتصقة بأعمدته، و كذلك الزهور و الورود ذات الرائحة الطيبة المزينة للمكان.

يمكن أن تتواجد تماثيل تجعل المكان أكثر جمالا ورونقا. و مساحة للجلوس و التمتع بهذا المنظر الجميل و الهواء النقي مثل الحنية المزينة بالفسيفساء بفناء منزل كاستوريوس. فهل هناك مكان أكثر راحة من الفناء خاصة إن كان الجو ربيعي و نقي.

⁶ يحتوي هذا الفناء على مساحة نصف دائرية مفتوحة على الرواق الشمالي كأنها حنية للجلوس. تحتوي على جدار منحنى نحو الفناء قطرها حوالي 2.20م ، أرضيتها كانت فسيفسائية على شكل صدف واسع.

الفناء في الفترة الرومانية بمنازل نوميديا، عبر مختلف الأنواع المدروسة، يعطي لنا نفس العناصر تقريبا. و هي موضوعة حسب بعض الشروط المناخية و الاجتماعية. فالمنزل متواجد غالبا على حواف الطريق، يفتح في بعض الأحيان على رواق الطريق. مدخله يؤدي إلى الدهليز ثم إلى الفناء الذي تحيط به قاعات مختلفة تستمد منه النور و الهواء النقي. في الغالب يكون المدخل إلى الفناء منحرفا لحماية المنزل من أنظار العامة، يحتوي على بئر، أحواض، نفورات، بستان، حسب غنى المبنى ، و به كذلك درج يؤدي إلى طابق علوي أو سطح و القاعات الأخرى تحيط بهذا الفناء. هناك منازل تحتوي على أكثر من فناء، حمامات خاصة، و معاصر... الخ. هيئة هذه المنازل تغيرت أكثر من مرة عبر القرون، و الآثار التي نعثر عليها لا تبين دائما الوضعية القديمة للمباني، فالسكان يحولون مساكنهم حسب شروط خاصة بطبيعة عيشهم، قد يكون هذا التغيير بسبب تحوّل المجتمع أو حاجة صاحب المنزل.